التذكار

معرّبة عن «الفرد دي موسيه»

بي نـزوعٌ إلى الـدمـوعِ الهـوامي
غـيـر أنـي أخـافُ مـن آلامـي
أيهـذا المكـان! يـا غـالي التـرب!
ومثـوى عبـادتي واحتـرامي!
أنت مثوى الذكرى ومـدفنُهـا الغـا
لي القصيُّ الـمجـهـولُ في الأيـام

* * *

هـذه خـلوتي فـلا تـمـنـعـونـي
مـا الـذي تحـذرون يـا خـلاني
انـهـا عـادتي الـتي كـنـت أعـتـا
دُ وأهـوى فـي سـالـفِ الأزمـانِ
أخـذتني لـذِي الـرحـاب وقـادت
قـدمي في سبيلِ هـذا المكـان!

* * *

أنـظروا هـذه السفـوحَ وهـذا النبـ
ـتَ إذ قـام مـزهـراً تـيّـاهـا!
لـكـأني مـا زلـتُ تـسـمـع أذنـي
في صمـوتِ الرمـالِ وقـع خـطاهـا
وكـأن الـنـجـوى بـكـل مـمـرٍّ
طـوقـتني في سـتـرهِ يـمـنـاهـا!

* * *

قـد تـراءى الصنـوبـر النضـر إذ أيـ
ـنـع فـي قـاتـمٍ مـن الألـوانِ
وتـراءَى ليَ المـضيـقُ البـعيـدُ الـ
ـغـور يمتـدُّ في رخيّ الـمجـانـي

مـوحـشـات لكـنـمـا كـن آلا
في ومهـد الـهنيء من أزمـاني

* * *

أنـا مـا جئتُ هـا هنـا أذكـر الأشـ
ـجانَ في موطنٍ عـرفت فيه هنـائي
ذلـك الغـاب رائـع الحسن والصمـ
ـت مـثـال الجـلال والكـبـريـاءِ
وفؤادي عـاتٍ كـرائـعِ هـذا الـ
ـغـابِ مستكبـرٌ عـلى البـرحـاءِ!

* * *

من يشـأ أن يفيضَ يـومـاً بشكـوا
ه فـمـا هـذا مـوضـع الأحـزان
قـل لشـاكٍ هـلاَّ مضيت لـتجثـو
عـنـد مثـوى ميت مـن الخـلان!
كـل شيء حيٌّ هـنـا ونـبـاتُ الـ
ـقبرِ ينمـو في غيـرِ هـذا المكـان!

* * *

طـلع البـدرُ يـرتـقي ذروةَ الأُفـ
ـقِ ويـجـتـازُ حـالـكَ الأسـدادِ
يـا أمـيـر الـظلام إنـك تـبـدو
حـائـرَ الـرأي، واضـحَ الـتـردادِ
ثـم تمـضي مـجـاوزاً حجبَ الـليـ
ـلِ وتـرمـي بـنـورك الـوقَّـادِ

* * *

كلّمـا شُـارف الثـرى فـيض نـورٍ
مـرسـلٍ من جبينِـك الـوضّـاحِ
وإذا الأرض قـد تـضـوَّعَ مـنـهـا
عن ثـراهـا النـديِّ عـطرُ الصبـاحِ

استثارت عطرَ القديمِ من الحبِّ
دفين العبيرِ في الأرواح

* * *

أيهذا الوادي المحبب ما زر
تك حتى سألت عن أوصابي
أيْن راحت لواعجي أيْن آلا
مي اللواتي أهرمنَني في الشباب
عاودتني طفولتي فيك حتى
خلتُ أني ما اجتزتُ يومَ عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهـ
ـر قويّاً مثل الجبابرِ عاتي
كل ماضي صبابة قد أخذتن
فمن مدمعٍ ومن حسراتِ
ورحمتنَّ لي أزاهر ذكرى
علقتْ في ذبولها بالحياةِ

* * *

فسلام مني على الأيامِ
كيف آستْ في النازلاتِ الجسامِ
لم أكن أدري أن جرحاً بما كا
بدتُ منه من فاتك الآلامِ
معقبٌ لذةً لنفسي واحسا
سَ هناءٍ لدنيَّ بعد التئامِ

* * *

فليْن عيَ السخيفُ من الرأ
يِ وتنأى سفاسفُ الأقوالِ
وهمومٌ كواذبٌ كفنت أثْـ
ـوابُها حُبَّ عاشقين ضآلِ

جـعـلوهـا مـظاهـراً لـهـواهـم
والهـوى الحـقُّ ليس مـنهـم ببـالِ

* * *

ايـه دانتي! أأنـت ذاك الـذي قـا
ل قـديماً عن ذكـريـاتِ الهنـاءِ:
انـهـا إن مـرَّت عـلى ذاكـريـهـا
زمن الحـزن فهي أشقى الـشقـاء!
أي بؤسي أملت عليـك مريـرَ الـ
ـقـولِ حـقّـاً أسـأت لـلبـأسـاءِ!

* * *

أو إنْ أقـبـل الـدجى بـعـد ادبـا
رِ نـهـارٍ صافي الضياء قضيتَهْ
تنكـرُ النورَ في الـوجـودِ فيغـدو
محضَّ وهمٍ كـأنـه مـا رأيـتَـهْ
ذلـك الـقـول وهـو جـدّ عجيب
أيهـا الخـالـد الأسى كيف قلتَـهْ

* * *

قسمـاً بـالـطهـورِ من لهب الحب
مـضيئـاً في القَلب شبـه الـمنـارِ
مـا عهِدْنـا في قلبـك الـوافر الإيـ
ـيمـانِ هـذا الضـلال في الأفكـارِ
لا أرى لـلهـنـاءِ والله صـدقـاً
مثـل صـدقِ الهنـاءِ بـالتـذكـارِ

* * *

أو إنْ أبـصـرَ الـشـقـيُّ ومـيـضـاً
في رمـادِ الـهـوى فـقـام إلـيـهِ
بـاسـطاً نـحـوَه يـديـهِ بلهـفٍ
حـارصـاً أن يـمـرَّ من كـفَّـيـهِ

وبـه مـن إشعـاعِـهِ أثـرُ السبـر
قِ إذا مـرّ خـاطـفـاً نـاظـريـه

* * *

أو إن غاصت روحهُ في عبـاب الذ
كـريـات التي طـوتـهـا السنيـنْ!
وعـلى مـرآةٍ مـجـرّحـةٍ مِـنـ
ـهـا جرى دمعُـه السخيُّ الهتـون!
أو هـذا السـرور من ذِكـرِ الـمـا
ضي تسميـه بـالـعـذابِ المبيـن!

* * *

ان تـروى أدمعي فـلا تـزجـروني
ودعـونـي انـي أحـب الـدمـوعَـا
لا تـجـفـف ايـديـكـمُ أدمـعـاً تَـنْ
ـفـعُ قلباً لمّـا يـزلْ مـوجـوعـا
أدمعي سترٌ مسبـلٌ فـوق مـاضٍ
قـد تـولى مـا يستطيـع رجـوعـا!

* * *